السنة السادسة والتسعون وأربع مئة

فيها أُعيدت الخطبة لبركياروق ببغداد، والتقى محمد شاه بأخيه بركياروق، فانهزم محمد إلى إرمينية وخلاط، ثم عاد إلى توريز في جمادى الآخرة، ومضى بركياروق إلى زنجان، ووقع بينهما اتفاق[١].

وفيها استوزر الخليفةُ زعيمَ الرؤساء أبا القاسم على بن محمد بن محمد بن جَهير على كُرهٍ منه، وعزل وزيرَه سديدَ الملك أبا الفضل [بن[٢]] عبد الرزاق، فكانت وزارته عشرة أشهر.

وفيها قصد أتابك طُغْتِكين ودُقاق الرحبة وحصروها، فسلَّمها أهلُها بالأمان، فقرَّر طُغْتِكين أمرَها وعاد إلى دمشق.

وفي رمضان خرجت العساكرُ المصرية في البر، والأسطولُ في البحر، مع شرف الدولة ولد الأفضل، وكتب إلى دمشق وغيرها باستدعاء العساكر للجهاد، فجاءت العساكر، ونزلت على يافا وتفرقت في السواحل.

وفيها خرج قليج أرسلان بن سليمان بن قُتُلْمِش من بلاد الروم طالباً أنطاكية، فوصل مرعش، وكان الأمير الدانشمند بملطية، فاختلفا، فرجع قليج إلى ملطية، وأوقع بالدانشمند، وقتل رجاله، وانكفأ عن ملطية، وكتب إلى حلب يلتمس الإقامة والميرة لعساكره، وأنه قاصدٌ أنطاكية، فتباشر الناس.

وفيها تُوفِّي

أردشير بن منصور[٣]

أبو الحسين، العبَّادي، الواعظ، من أهل مرو، وكان يخاطَب بالأمير قطب الدين، قدم بغداد سنة ست ـ وقيل: سنة خمسة وثمانين ـ وجلس في النِّظامية، وحضر أبو حامد الغزالي مجلسه، وكان يحاضره ويذاكره، فامتلأ صحنُ المدرسة وأروقتُها وغرفُها وسطوحُها بالناس، وخرج إلى مراح طَغْر فجلس به، وكان يحضر مجلسه من

(١) الخبر بسياق أطول في المنتظم ١٧/ ٨٠ ، ووقع فيه وفي النجوم الزاهرة ٥/ ١٨٦ : تبرير بدل توريز.

(٢) ما بين حاصرتين في (ب).

(٣) المنتظم ١٧/ ٣-٤ ، ٨٧-٨٨ ، ووقعت وفاته في سنة (٤٩٧هـ)

الرجال والنساء ثلاثون ألفاً، وكان صمتُه أكثرَ من نطقه، وإذا تكلَّم هام الناسُ على وجوههم، وترك الناسُ المعاش، وحلق أكثرُ الصبيان رؤوسهم، ولزموا المساجد والجماعات، وبدَّدوا الخمور، وكسروا الملاهي. وكانت عليه آثار الزهد ظاهرة.

وقال إسماعيل بن أبي سعد الصوفي: كان العبَّادي ينزل في رباطنا، وكان في الرباط بركة كبيرة، وكان يتوضأ منها، فكان الناس ينقلون منها الماء بالقوارير والكيزان تبركاً، حتى كان يظهر فيها النقصان، وظهرت له الكرامات؛ قام إليه رجل ليتوب، فقال: قِفْ مكانك ليطهرك ماءُ المطر ـ ولم يكن في السماء قزعة من سحاب ـ فارتفع سحابٌ في الوقت وأُمطِرَ الرجلُ. وقال أبو منصور الأمين: قال لي العبادي يوماً: يا أبا منصور، أشتهي توتاً شامياً وثلجاً، فإنَّ حلقي قد تغيَّر. فعبرتُ إلى الجانب الغربي ولي فيه بساتين، فطفتُ واجتهدتُ فلم أرَ شيئاً، فرجعتُ قُبيل الظهر إلى داري، وكان نازلاً في بيت منها منفرد، فقلت لأصحابه: من جاء اليوم؟ قالوا: امرأة. وقالت: قد غزلتُ غزلاً، وأُحِبُّ أن تقبل ثمنه مني. فأخبرناه فقال: ليس لي عادة بذلك. فجلست تبكي، فرحمها وقال: قولوا لها: اذهبي فاشتري لنا به شيئاً. فقالت: ما الذي أشتري؟ فقال: مايقع في نفسها. فخرجَتْ فاشترَتْ توتاً شامياً وثلجاً وجاءت به.

وقال أبو منصور: دخلتُ يوماً عليه فقال لي: يا أبا منصور، قد أحببتُ أن تعمل لي اليوم دعوة. قال: فاشتريتُ الدجاج، وعقدتُ الحلواء، وغرمتُ أكثر من أربعين ديناراً، فجلس يفرِّقه ويقول: احمل إلى الرباط الفلاني كذا وكذا، وإلى المكان الفلاني، ولم يتناول منه شيئاً، ورأى فيَّ انقباضاً، فغمس أصبعه الصغرى في الحلواء وقال: يكفي هذا.

وكان معه طعام قد حمله من مرو، فكان يأكل منه، ولم يأكل من خبز بغداد. قال: وكنت أرصده، فكان يصلي العشاء الآخرة ويَتَقلَّب على فراشه طول الليل، ثم يقوم فيصلي الفجر بذلك الوضوء.

وقال عبد الوهاب بن أبي منصور: دخلتُ على العبَّادي وهو يشرب مرقة، فقلت في قلبي: ليتَه أعطاني فضلَتَه فأشربَها، لعلِّي أحفظ القرآن. فأعطاني فضلتَه وقال: اشرَبْها على تلك النية. فشربتُها، فحفظتُ القرآن.

ولمَّا قدم بغداد ونفق كلامُه وكان البرهان الغزنوي يعظ بها، فانكسر سوقُه، فقال الدهَّان[١]: [من السريع]

للهِ قطبُ الدينِ من عالمٍ ... منفردٍ بالعلمِ والباسِ
قد ظهرت حُجَّتُهُ للورى ... قام بها البرهانُ للناسِ

والبرهان عيسى بن عبد الله الغزنوي كان يُظهر مذهب الأشعري على المنبر، فيُرجم من كلِّ ناحية، ويُكلِّم العباديَّ في الربا وبيع القراضة بالصحيح، وأنكر ذلك، فمُنع من الجلوس، وأُمر بالخروج من البلد، فخرج إلى مرو وأقام بها إلى هذه السنة، فتوفِّي غرَّة جمادى.

وقيل: مات سنة سبع وتسعين.

نبذة من كلامه:

ذكر في تأويل قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[غافر: ١٩] قال: [هو][٢] رقيب العين، وقريب القلب.

وقال: قد تأخَّر الغيثُ، وقحط الناس، وصارت المعاصي عماماً يمنع قطرات الغيث، فانزعوا عن العيث.

وطلب يوماً لفقير شيئاً، فأعطاه رجلٌ دينارين، فقال: [ياصاحب الدينارين، كفاك اللهُ همَّ الدارين].

وقال: السَّحَرة نزلوا تحت الشجرة فنالوا الثمرة.

وقال في قصة موسى عليه السلام حين شمَّ التفاحة فمات: كان شمُّ نفَسِه سُمَّ نَفْسِه.

وسُئِلَ: لِمَ[٣] لم يؤدَّبْ آدمُ في الجنة؟ فقال: كيف يُقامُ حدُّ الأدب في دار [الأنس و[٤]] الطرب.

وقال: السعيد في الجنة الرحيق، والبعيد في النار الحريق.

---

(١) تحرفت في (خ) إلى: البرهان والمثبت من (ب)، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٨٦

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ): لو، والمثبت من (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب)

ولا خفاء أن الرجل كانت له معاملات ورياضات دلَّ عليها كثرةُ صلاته وصيامه، ولهذا كان ينتفع الناس بسكوته أكثرَ ممَّا ينتفعون بكلامه.

محمد بن عبيد الله[١]

ابن محمد بن أحمد بن كادِش، أبو ياسر، العُكْبَري، الحنبلي، كان مفيدَ بغداد، سمع الكثير، وكتب وحفظ، وخرَّج وصنَّف، ومات في صفر، ودُفن بباب حرب، وكان ثقةً ثبتاً فاضلاً.

أبو المظفر الخُجَندي[٢]

المدرس بأصبهان، الشافعي، جد بَيت الخُجَنْدي، وينسب إلى المُهلَّب بن أبي صُفْرة، وقعت فتنة بالري، فخرج ليصلح بين الفريقين، فرماه علويٌّ بسهم فقتله، وقُتِلَ العلوي.

أبو المعالي[٣]

الزاهد، البغدادي، كان مقيماً بمسجد بباب الطاق، حضر مجلس ابن أبي عمامة، فوقع كلامه في قلبه فتزهَّد، وكان لاينام إلا جالساً، ولا يلبس إلا ثوباً واحداً شتاءً وصيفاً، وكان منقطعاً إلى العبادة.

جاءه سعد الدولة الكوهراني شِحنةُ بغداد زائراً فقال: أغلقوا الباب. فجاء سعد الدولة، فنزل من فرسه وطرق الباب، وقال: واللهِ ما أبرحُ حتى يفتح لي. ففتحَ له، فدخل فجلس بين يدَي الشحنة يُوبِّخه ويزجره، وسعد الدولة يبكي بكاء كثيراً.

وقال أبو المعالي: أضقتُ إضاقةً شديدة في رمضان، فعزمتُ على المضيِّ إلى رجل من أقاربي أطلب منه شيئاً، فنزل طائر فجلس على منكبي وقال: أنا الملَك الفلانيُّ، لا تمضِ إليه، نحن نأتيكَ به. فلما طلع الفجر إذا بقريبي قد جاء ومعه دنانير، فوضعها بين يديَّ.

ومات في هذه السنة، ودفن بباب حرب.

---

(١) المنتظم ١٧/ ٨٢ .

(٢) المنتظم ١٧/ ٨٣ .

(٣) المنتظم ١٧/ ٨٢-٨٣ .

[السيدة بنت القائم بأمر الله[١]

التي كانت زوجة طُغْرُلْبَك، كانت كثيرة الصدقات، صلَّى عليها المستظهر، وهي عمَّة أبيه المقتدي، وجلس الوزير في العزاء ثلاثة أيام في الديوان، وحُملت إلى الرُّصافة]

السنة السابعة والتسعون وأربع مئة

فيها وقع الصلح بين الأخوة بركياروق [ومحمد وسنجر، على أن يكون اسمُ السلطنة لبركياروق][٢]، وضَرْبُ النُّوبة في الصلوات الخمس على بابه، وأن يكون لمحمد أرمينية وأذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل، وأن يكون سنجر على خراسان بحاله، وأن يكون لبركياروق الجبل وهَمَذان وأصبهان والري وبغداد وأعمالها، والخطبة ببغداد لبركياروق، وسنجر ومحمد يخطبان لنفوسهما، وسبب هذا أنَّ الفتن لمَّا طالت بعث بركياروق القاضي أبا المظفر[٣] الجرجاني إلى محمد شاه في رسالة[٤]، فصَعِد المنبر، ومحمد حاضر، فذكر ما أمر الله به من إصلاح ذات البَين، والنهي عن قطيعة الرحم، فأجاب محمد إلى الصلح، وتحالفا، ووصل الخبر إلى بغداد [فقطعت خطبة محمد، وأُعيدت خطبة بركياروق.

وفيها أخرج الواعظ الغزنوي من بغداد][٥] بسبب الفتن، فتوفي بإسفرايين.

[وفي رجب وردت مواكب الفرنج إلى اللاذقية مشحونة بالمقاتلة والتجار وغيرهم، ونزلوا على طرابلس مع صَنجيل، وأقاموا أياماً، وأمنوا أهلها، ودخلوها، ثم غدروا بأهلها فقتلوهم][٦]

---

(١) هذه الترجمة من (ب)، وهي في المنتظم ١٧/ ٨٣ .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٨٧ .

(٣) في (خ): مسألة، والمثبت من (ب)

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) والخبر في المنتظم ١٧/ ٨٥ .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) ، والخبر بنحوه في الكامل ١٠/ ٣٧٢ .

(٦) ما بين حاصرتين في (ب).